القيادي الفرنسي في تعبيد الطريق أمام سياسة أوروبية مستقلة في قضية الشرق الأوسط. وهذا الدور القيادي لا تتلهف بريطانيا ولا المانيا الاتحادية لوراثته عن فرنسا. وهذا واقع أليم، حيث أن الدول العربية بذلت جهدها لإقامة شبكة واسعة من العلاقات مع البلدان الأوروبية وتغذيتها متوقعة أن تؤدي العلاقات المتبادلة والمصالح المشتركة إلى تعزيز الصلات في صورة تدريجية ومطردة، وآملة ايضا أن تقود العلاقات التجارية والاقتصادية ـــ على المدى البعيد ـــ إلى تحقيق منافع للطرفين.

ولقد وفّر تطور مثل هذه الاستراتيجية مناخا ملائما لعلاقات تجارية نفطية نشيطة بين الدول العربية والأوروبية، وضمن استمرار إمدادات النفط العربي إلى الأمم الأوروبية الصديقة. ولقد استهدفت دول النفط العربية من تبني مثل هذه السياسات منذ عام ١٩٧٣ تنويع خيارات السياسة الخارجية، والارتقاء بالمصالح مع الدول الصديقة إلى أقصى حد ممكن. وفي هذا الوقت، كانت الفرضية القائمة في ذهن الجانب العربي على الدوام أن التعاون في ميدان الطاقة ينبغي أن يؤدي إلى تفهم سياسي أفضل، وأن الأوروبيين لا بد أن يتبنّوا مقتربا مباشرا كوسطاء فعالين في النزاع العربي ـــ الاسرائيلي، وأن ينتهجوا خطا صريحا مع فكرة الدولة الفلسطينية، ويزيدوا من ضغطهم على الولايات المتحدة لاقناعها بالمشاركة في المسعى الأوروبي بحثا عن السلام.

أما الولايات المتحدة فلقد كان همّها الاستراتيجي على مدار العقود الثلاثة الفائتة، أن تشكل نظاما دفاعيا إقليميا ضد الاتحاد السوفياتي، وأن تضمن أمن الامدادات النفطية، وأمن اسرائيل. إن التركيز على أي من هذه الغايات أو سواها كان يتفاوت بين إدارة أميركية واخرى، لكن هذه القضايا الأساسية ظلت على حالها، وتمتعت بالأولوية المطلقة على كل ما عداها، مما ألحق الضرر بالمصالح العربية، القومية والأمنية.

وأكثر من ذلك، هناك عدد من الأهداف الأكثر تحديدا تنتصب أمام صانعي السياسة في الولايات المتحدة، وينطبق الأمر في هذا على إدارة ريغان مثل سابقاتها. وهذه القضايا المحددة تشمل: ضمان الامدادات النفطية إلى البلدان المستهلكة؛ وتثبيت أسعار النفط؛ وإعادة تدوير العائدات؛ والحيلولة دون التحركات السوفياتية الديبلوماسية والعسكرية؛ وتقليص النفوذ السياسي السوفياتي؛ والحفاظ على التفوق الاستراتيجي الاسرائيلي؛ وصيانة الاستقرار الاقليمي؛ وتعزيز النفوذ الغربي في المنطقة.

ومن الجلي تماما أن هذه الأهداف المحددة يناقض بعضها بعضا إلى درجة معينة، ولا يمكن تحقيقها تلقائيا من جانب أية حكومة بذاتها، في منطقة مسيّسة ومعقدة كالشرق الأوسط. ومن الواضح جدا ايضا أن المحاولات للفصل بين هذه القضايا، والتعامل مع كل منها على انفراد وفي معزل عن القضايا الأخرى، لا يمكن أن يكتب لها التوفيق على المدى الطويل.

ولقد دشنت إدارة ريغان علاقاتها الرسمية بالمنطقة بالجولة التي قام بها ناظر الخارجية هيغ، الذي كان جلّ اهتمامه أن يقنع العرب بأن احتواء النفوذ السوفياتي